علم النفس الإسلامي

أيها الإخوة الأكارم ... قد نقول : إن علم النفس علم حديث ، يتحـدث عـن طبيعـة النفس وعن قوانينها ، وعن الهيجان ، وعن الغضب ، وعن الدوافع ، وعن الحاجات ، وعن أحوال النفس في قوتها وضعفها ، في سموها وانحطاطها ، ونغفل أو نتغافل عن أن في القرآن الكريم علماً للنفس، من عند الخالق جل وعلا .

وقع قبل أيام تحت يدي كتاب اسمه : علم النفس الإسلامي . تصفحته ، فرأيت فيـه العجب العجاب . رأيت أن كل مصطلحات علم النفس، وكل قوانين علم الـنفس فـي الأعـم الأغلب ، قد وردت بشكلٍ أو بآخر في القرآن الكريم .

فمن هذه الأبواب التي وردت في هذا الكتاب ؛ كتاب علم الـنفس الإسـلامي ، بـاب يتحدث عن أنواع النفس ، هذا ما يعبر عنه بالنماذج البشرية . هناك نماذج متكررة وصـفها ربنا عز وجل . هناك النفس المطمئنة ، وهناك النفس اللوامة ، وهناك النفس الذكية . وهناك آياتٌ كثيرةٌ تصف هذه النماذج .

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

(سورة الفجر)

النفس المطمئنة هي التي عرفت ربها ، واطمأنت إليه . اطمأنت إلى أسمائه الحـسنى وصفاته الفضلى . اطمأنت إلى وعده ووعيده ، اطمأنت إلى جنته ، اطمأنت إلـى وحدانيتـه طمأنت إلى أنه لا إله إلا هو .

وهناك نفس تقع في الدرجة الثانية ، هي النفس الذكية ، الطاهرة من كل دنس ، من كل عيب من كل صفةٍ خسيسة . النفس الذكية التي تعطي ما عليها ، وتأخذ ما لها من دون أن تجحـف من دون أن تطغى ، من دون أن تبغي ، من دون أن تظلم .

أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ
لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

(سورة الكهف)

أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ

قَدْ أَفْلَحَ مَن
زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾

(سورة الشمس)

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾

(سورة الشمس)

فالنفس الذكية ، فلان زكي ، أي طاهر ، لا يحقد ، ولا يحسد ، ولا يبغي ، ولا يظلم ولا يتجاوز حدوده ، معطاء خير ، يحب السلم ، يكره العدوان ، يكره البغي ، والظلم . ورد ذكر هذه النفس الذكية في القرآن الكريم ، في آياتٍ كثيرة .

وأما النفس التي أثنى الله عليها ، فهي نفس عامة المؤمنين ، هي النفس اللوامة ، قال :

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾

(سورة القيامة)

هذا الذي كلما تكلم كلمةً فحصها ، وحاسب نفسه عليها . أيجوز أن أقول هذه الكلمة ؟ لعلها غيبةٌ ، لعلها نميمةٌ ، لعلها تسخط الله عز وجل . وقد قال عليه الصلاة والسلام :

" .... وإن العبد ليتكلم بالكلمةِ من سخَطِ اللهِ لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم " *
(صحيح البخاري : رقم " 5997 ")

هذه النفس اللوامة ، نفس أثنى ا عليها . ويجب أن يكون المؤمن لواماً ، يسأل نفسه دائماً ، يحاسبها في الدنيا حساباً عسيراً ، حتى يكون حسابها يوم القيامة يسيراً . يحاسب نفسه على الدرهم ، فضلاً عن الدينار. يحاسب نفسه على النظرة ، يحاسب نفسه علـى الكلمـة . يحاسب نفسه على أي عدوانٍ معنوي ، أو مادي على حقوق الإنسان . هذه الـنفس اللوامـة نموذج آخر ورد في القرآن الكريم .

وهناك نفس حاسدةٌ :

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم

(سورة البقرة : آية " 109 ")

النفس البعيدة عن ا عز وجل تحسد الناس .

وهناك نفس آثمةٌ ، تقع فيما حرم ا :

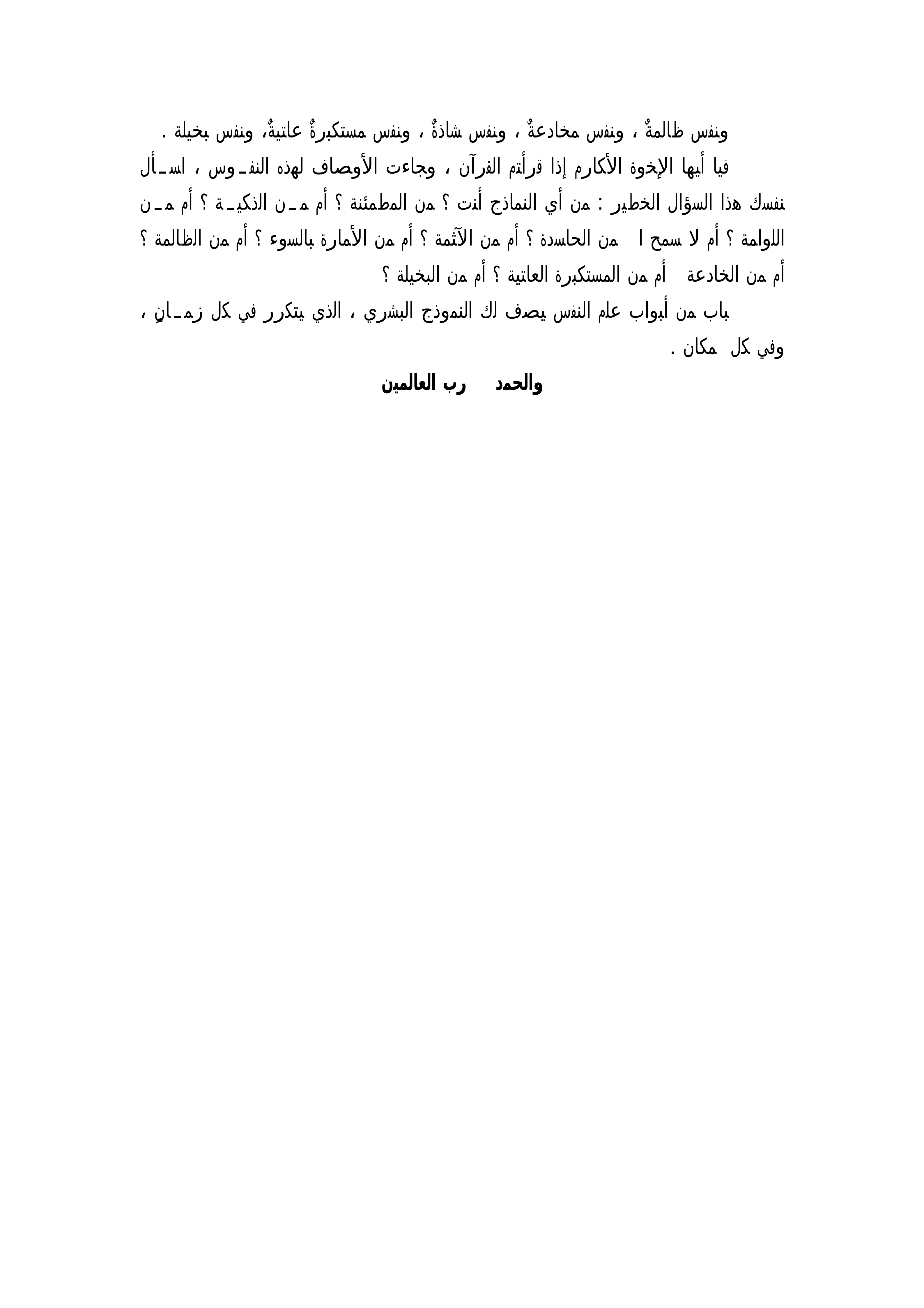
وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ

(سورة النساء : آية " 111 ")

نفس آثمة ، ونفس حاسدة ، ونفس أمارةٌ بالسوء ..

إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ

(سورة يوسف : آية " 53 ")



ونفس ظالمةٌ ، ونفس مخادعةٌ ، ونفس شاذةٌ ، ونفس مستكبرةٌ عاتيةٌ، ونفس بخيلة .

فيا أيها الإخوة الأكارم إذا قرأتم القرآن ، وجاءت الأوصاف لهذه النفـوس ، اسـأل نفسك هذا السؤال الخطير : من أي النماذج أنت ؟ من المطمئنة ؟ أم مـن الذكيـة ؟ أم مـن اللوامة ؟ أم لا سمح ا من الحاسدة ؟ أم من الآثمة ؟ أم من الأمارة بالسوء ؟ أم من الظالمة ؟ أم من الخادعة أم من المستكبرة العاتية ؟ أم من البخيلة ؟

باب من أبواب علم النفس يصف لك النموذج البشري ، الذي يتكرر في كل زمـانٍ ، وفي كل مكان .

والحمد رب العالمين